

التعريب في العصر الاموي والعباسي

للدكتور توفيق سلطان اليزبيكي

في نشر الثقافة كمدرسة حران وهي مدينة في الجزيرة شمال العراق وذكر نخبة من أساتذتها وخريجها منهم ابو عبد الله البتاني الفلكي المشهور ، وثابت بن قرة المترجم المشهور ، وابو الحسن ثابت واسحق وابو الفرج الخ. ومدرسة نصيبين وهي مدينة تقع بين اعالي بلاد ما بين النهرين التي ساعدت على نشر كتب الفلسفة اليونانية التي ترجمها النصارى النساطرة .

ومدرسة جند يسابور وهي مدينة تقع في خورستان التي كانت بها مدرسة الطب المشهورة التي اسسها كسرى وزاد نشاط هذه المدرسة بعد اتصالها بالمسلمين واشتهر من اساتذتها وطلابها في العصر العباسي جرجيس بن يختشوع الطبيب المشهور . وحفيده جريل بن يختشوع ، ويحيى بن البطريق وزكريا بن يحيى بن البطريق وابو يوحنا بن ماسويه ، ولقد قامت هذه المدرسة بدور هام في التعريب والتأليف والترجمة من السريانية الى العربية .

ثم انتقل الباحث الى الحديث عن دوافع حركة التعريب فأشار الى ان هذه الحركة بدأت في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد حيث جعلوا اللغة العربية الرسمية في دواوين الدولة ومراسلاتها ، وانكب الكثير من الداخلين في الاسلام على التبحر في علومه لفهم القرآن وايجاد قواعد للغة العربية وهو ما اصطلح على تسميته فيما بعد بعلم النحو ، وأشار الكاتب الى الدور الكبير الذي لعبه سيبويه - احد تلامذة الفراهيدي -

نشرت مجلة «آداب الراغبين التي تصدر عن جامعة الموصل بالعراق ، في عددها السابع 15 تشرين الاول 1976 هذا البحث الشيق للدكتور توفيق سلطان اليزبيكي نلخصه فيما يلي :

استهل الباحث الكريم بحثه مشيراً الى الاثر الكبير الذي أحدثته حركة الفتح الاسلامي للعراق وفارس والشام ومصر بمظاهرها العسكرية والبشرية والفكرية ، حيث اقبل سكان البلاد المفتوحة على تعلم العربية وآدابها ، وكذلك عن الاثر الذي أحدثته الفرق الاسلامية ومذاهبها في توضيح هذه الثقافة . ثم انتقل السيد الباحث الى الحديث عن اثر الثقافات الاجنبية ومدارسها في التعريب حيث احتلت اللغة العربية المكانة اللانقة بها بين هذه الثقافات وكان لها اثر كبير على غير المسلمين للدخول في الاسلام حيث اقبل هؤلاء الاجانب على دراسة امهات الكتب العربية حتى أصبحت بغداد حاضرة العالم الاسلامي .

ولقد ذكر الكاتب الفاضل ممن تأثرا بالفكر العربي اليهود والنصارى والصابئة حيث أخذوا ينتقلون عن اللغات الاخرى ويستدل الباحث في هذا الصدد بقول المستشرقين : سيديو وديورانت عن الاثر البليغ الذي أحدثته الحضارة العربية في الشعوب الاخرى ، حيث حافظ العرب على المؤسسات العلمية التي كانت لاهل الذمة في البلاد المفتوحة والمدارس العلمية الاخرى التي كانت بها . ثم اشار السيد الباحث الى دور هذه المدارس

بوضعه علم النحو في صورة نظامية جرت عليها الاجيال المتبلدة وكان ينامسه في هذا العلم الكسائي الكونى .

ويؤكد الكاتب ان اقبال المسلمين على تشجيع حركة التعريب يعود ايضا الى ظهور الفرق الاسلامية وبروز فكرة الاعتزال والقول وفي القضاء والتدر ويؤكد المؤلف ان الفتوحات الاسلامية والفكر الاسلامى كان لهما اسهام كبير في حركة التعريب هذه حيث اتبل العرب على التزوج بالاجنبيات من البلاد المفتوحة فادى ذلك الى نشأة اجيال تجيد لغات متعددة اقبلت فيما بعد على ترجمته ونقل الكثير من علوم مختلف الامم والشعوب . ويشير الكاتب الى ان اولى محاولات التعريب في العهد الاسلامى كانت (تعريب البقود) منذ الخليفة عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب ثم عبد الله بن الزبير ، وتوسع المؤلف في معالجة هذا الموضوع .

ثم انتقل الى الحديث عن تعريب الدواوين الذى بداه عبد الملك بن مروان فتحولت المراسلات في الشام من الروحية الى العربية ، وتحولت في العراق من الفارسية الى العربية على ايام ولاية الحجاج بن يوسف، أما الدواوين المصرية فقد عريت في ولاية عبد الله بن عبد الملك في خلافة الوليد سنة 87 هـ . وفي مجال حديثه عن اشهر من قام بدور التعريب ذكر الاموى الرهاوى الذى ترجم الكثير من كتب الالهيات اليونانية الى العربية.

واضطلع السريانيون بنشر الفلسفة اليونانية في العراق ، وفي عهد المأمون وبعده كان منهم (الصائبة) من تولى ترجمة الكثير من الكتب الاجنبية .

ويشير المؤلف الى ان حركة التعريب هذه انصبحت اساسا على كتب الفلسفة والطب والنجوم والمنطق وان دوافع هذه الحركة كانت هي خدمة العلم والعمل على نشره .

ونوه بعد ذلك بدور الفرس في هذه الحركة حيث اقبل كثير منهم على اللغة العربية ومنهم موسى بن سيار الاسوارى الذى عجب به الجاحظ وقال عنه ان فصاحته بالعربية كانت في وزن فصاحته بالفارسية .

واشار المؤلف في هذا الصدد الى الفصل الذى كتبه ابن النديم في كتابه الفهرست عن أسماء النقلة من الفارسية الى العربية فذكر منهم عبد الله بن المقفع وآل نوبخت وموسى ويوسف ابنى خالد ومحمد بن

الجهم والبرمكى وزاد ويه بن شاهويه وبهرام بن مردان شاه واسحق بن يزيد والبلاقرى وسواها من الاسماء التى اسهمت في نقل الكثير من النفايس الفارسية الى العربية . اما من ترجم عن العبرية - يقول المؤلف - فلم يتعد اهتمامات الديانة اليهودية .

واهم ما عرب من كتب الهند كتاب «السند هند في حركات النجوم» الذى امر المنصور بترجمته الى العربية . وفي العصر العباسى الاول بدأت حركة تعريب واسعة النطاق في النواحي العلمية والثقافية منذ خلافة المنصور الذى كان شغوفا بالطب والهندسة وهو اول من راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة فبعث اليه بكتاب اقليدس وبعض كتب الطبيعيات . وشجع العلماء ، وفي هذا العصر نبغ فيلسوف العرب ابو يوسف الكندى وسواه من المشاهير، وبعد ان تحدث الكاتب عن دور الرشيد في هذه الحركة انتقل للحديث عن المأمون الذى اتتدى بوالده الرشيد في اهتمامه بالعلوم فجلب الكتب من ملوك الروم وانشأ بيت الحكمة المشهور وارسل بعثات في شراء الكتب . الخ

ويشير الكاتب الى ان حركة التعريب بلغت اشدّها على عهده حيث ترجمت في هذا العهد كتب اليونان الكبرى مثل كتب افلاطون وارسطو وستقراط وجالينوس واقليدس وارخمديس وبطليموس وغيرهم ويذهب المؤلف الى ان التعريب استمر في عنفوانه وكثافته حتى اواسط القرن الثالث الهجرى وان المد التعريبى لم ينقطع وقد استمر حتى اواسط القرن الرابع الهجرى . ويعود الكاتب - مرة اخرى - ليؤكد دور اهل الذمة وذكر منهم أسماء كثيرة سبق ذكرها . ويشير في الأخير الى الامادة العظمى التى افادته اللغة العربية بتوسيع معجمها بدخول الفاظ جديدة كثيرة اليها من لغات مختلفة كالفارسية واليونانية والهندية الخ .

وختم الدكتور اليوزيكى بحثه المانع بقوله :

ان نشاط حركة التعريب كان بدوافع رسمية وشعبية وكان للاسلام اثر كبير في نجاح عملية تعريب الامم التى انتشر الاسلام فيها كما بعثت الحركات السياسية والفكرية والازدهار الثقافى والحضارى ولعب بعض خلفاء المسلمين دورا بارزا ومهما في توسع هذه الحركة وانتشارها بين الشعوب التى خضعت لدار الاسلام .